رحيل

قارب الشاعر الفلسطيني الذي غادر عالمنا أول أمس الأحد، واقع الاحتلال والنفي واللجوء بقصيدة مسكونة بالمفارقة، ومحمّلة بخلاصات فلسفية، وسخرية تبدو سوداء أحيانا. قصيدة تقطع مع لغة الشعارات والحماسة التي وسمت شعر بعض أبناء جيله

محمود منير

في خطى مغايرة لجميع أبناء جيله، كتب الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي (1944 – 2021) الذي رحل أوّل أمس الأحد قصيدته، وسجّل مواقفه وعاش نائياً بنفسه عن أية جماعة أو «شلّة» في الوسط الثقافي الفلسطيني، والعربي أيضاً، حتى أن المتلقّي لكتابته، والمتتبّع لسيرته، لن يستطيع ربط معظمها بحدث أو مكان أو لحظة سياسية بعينها رغم أنه لم يكتب إلا متأملاً أو متفكّراً بواقع فلسطين وأحوال الفلسطيني.

متأثراً بهزيمة حزيران/ يونيو 1967، ذهب إلى الشعر في محاولة لترميم الخسارات الشخصية الثقيلة، وتفرّق العائلة بين المنافي، وفقدان ما تبقّى من فلسطين، وارسل نصوصه الأولى ضدّ الموجة السائدة آنذاك بنبرتها العالية وخطابها المباشر في التمسّك بالأرض وخيار المقاومة، حيث أراد أن يقول كلمته بهدوء ويثبّت أفكاره بلا ضجيج وافتعال.

وهكذا صدرت مجموعته الأولى «الطوفان وإعادة التكوين» عام 1972، فلم يتغنّ في قصائده بالوطن أو يمجّد عمليات المقاومة

مريد البرغوثي غياب عند أقصى درجات الانتباه
شعرية المفارقة والمحو

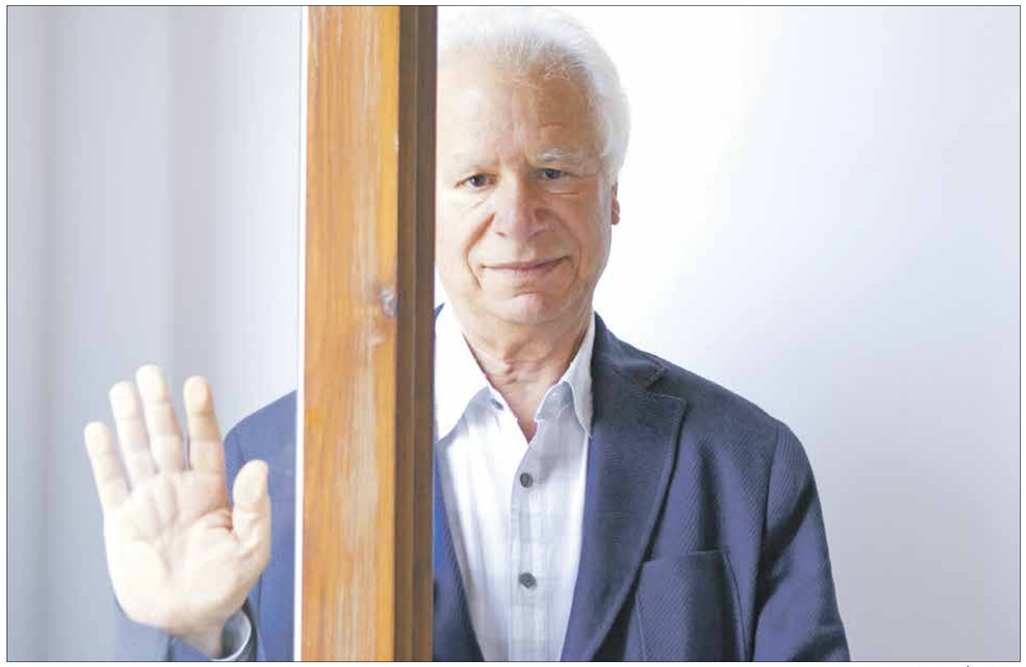

مريد البرغوثي في ميالنو عام 2014 (Getty)

أو يرفع آية يافطة وشعار، واختار عنوانها مدفوعاً بوعي ورغبة من يريد هدْم منظومة بأكملها رفضاً للخضوع والامتهان لآلهة وأصنام وزعماء وموروثات بالية، وقد كتب فيها مقطعاً مثل: «أنا شاهدٌ مولده الأخير هنا مساء اليوم/ وما زالت عيوني السود أسئلة تحدّق في صباح الغد».

ومن يمتلك جرأة أن تكون بدايته على هذا من النحو الاختلاف، سيمتلك حتماً القدرة على مراجعتها بعد أكثر من أربعة عقود، ويشير في مقال له: «كنت في تهوّر العشرينيات من عمري. إنها السن المناسبة تماماً للتأكد من الحكمة! الأكيد أن في الديوان قصائد ندمتُ على نشرها لرداءتها». ويعترف أيضاً أن مجموعاته الثلاث اللاحقة صدرت دون أن يكون مطمئناً تماماً لوضوح خطوط بصمته، وهي مجرّد «تمارين على الكتابة». لا تنفصل تلك النظرة عن التكوين الشخصي لصاحبها الذي حُرم عام 1967 من العودة إلى قريته دير غسانة بالقرب من رام الله، عشية تخرّجه من قسم اللغة الإنكليزية بـ«جامعة القاهرة»، ولاحقاً سُجن في مصر وأبعد عنها لسبعة عشر عاماً بسبب معارضته زيارة الرئيس المصري محمد أنور السادات للكيان الصهيوني عام 1977، حيث دفع ثمن موقفه السياسي مزيداً من المنافي والاغتراب وفرّقه زمناً عن زوجته الناقدة والروائية المصرية الراحلة رضوى عاشور (1946-2014).

ويؤكد صاحب ديوان «فلسطيني في الشمس» (1974) في أكثر من مرّة أنه لا يصيبه الحنين إلى وطن فقده، إنما يتملّكه الغضب حيث العودة مستحيلة إلى فلسطين المأسورة بجيوش وحدود وقوانين، وحيث كُسرت إرادته، فالحياة بالنسبة إليه «صراع إرادات»، لكن يرى أنه «حين يكسر عدوك إرادتك في معركة هذا لا يشكّل منعطفاً تاريخياً، فالمنعطف التاريخي يبدأ حين تغيّر أنت روايتك التاريخية»، وهذا ما فعله الزعماء العرب الذين وقّعوا اتفاقيات مع المحتلّ. رؤية مبدئية كرّست لدى الشاعر قناعته باتخاذ مسافة نقدية بينه وبين السلطة؛ أيّة سلطة، وتفرض عليه إعادة النظر في المسلّمات التي تبدأ بالشعر نفسه، ولا تنتهي بالسياسة والاقتصاد والثقافة، مؤمناً بأنّ الفن هو «أقصى درجات الانتباه للعالم الداخلي للفنان وعالمه الخارجي». انتباه سيبعده عن الثرثرة في الشعر، ويمنحه نظرة حالمة في الحياة يراها أكثر واقعية من الواقع، حيث الدماء والتضحيات والآلام والنفي والاحتلال خلال مئة عام من تاريخ الشعب الفلسطيني لا يساويها أي ثمن.

وعلى طريقته، سيقارب تلك الأوجاع في قصيدة مسكونة بالمفارقة، ومحمّلة بخلاصات فلسفية، وسخرية تبدو سوداء أحياناً، كما في مجموعته «منطق الكائنات» (1996) إذ يكتب تحت عنوان «قال النجار»: «كرسيُّ المدرسة مصنوع من عظام الموتى/ كرسيّ المقهى وغدٌ لا يعرف صاحبه/ كرسيّ اللاجئ الريح/ كرسيّ مرافق المريض سيغرق أيضاً/ كرسيّ الغيور بثلاثة أرجل/ كرسيّ طبيب الأسنان أكثر عدلاً من غيابك».

ونزع البرغوثي منذ مجموعته الخامسة «قصائد الرصيف» (1980) نحو الصورة الشعرية التي تعتمد مشهدية درامية في تصوير الأشياء التي يشعر فيها ويتخيّلها ويحدس بها، ويرع في تركيزه على التفاصيل والدقائق الصغيرة في تلك الصور من أجل تحقيق جرعة مضافة من الصدمة والتأثير على المتلقي، كما مزّج يوميات الحياة اليومية بعاديتها وفرط بساطتها بأحلام أو تخيّلات منحها الخروج عن المألوف في معاينة حركة الكائن فيها وتحوّلاته وماآته، بكثافة وتقشّف متقصّدين وصفها ذات يوم بأنه يكتب بـ«المحاة».

أتحت صاحب ديوان «رنة الإبرة» (1993) للصراع الدائم بين الإنسان ومكانه وبين الإنسان وذواته، وكان تعبيره الأساسي عنه من خلال لغة الحوار، والمخاطبات التي لا يكلّ الفرد عن إنشائها كلغة تجمع البشر والحيوانات والجمادات، في محاولة للتفكير وإعادة التفكير انطلاقاً من تلك التناقضات التي توضّح سلوك كلّ واحد منها في مقابل الآخر، وهي تقنيات قام بتطويرها والتوسّع في استخدامها لطرح مواضيع عديدة قد يبدو تناولها بعيداً عن الشعر، لكنه استطاع أن يجعل شعريتها قائمة على تلك الانزياحات في الشكل والمضمون.

مواصلاً تلك الحكمة التي تدثّر بها فتى، فرافقته كهلاً، أصدر مجموعته الشعرية الأخيرة «استيقظ كي تحلُم» عام 2018 بعد ثلاث عشرة سنة من نشره المجموعة السابقة «منتصف الليل»، وقد اختزل فيها تجربته في ثلاثة أقسام رئيسة؛ تأمّلاته في الوجود ومعنى الحرب وفكرة التاريخ، وإنطاق الموجودات من حوله ونسج حوار معها تحت «منطق الكائنات، مرة أخرى»، وبختمه بـ«وثيقة» يتحدّث فيها إلى رفيقة دربه رضوى عاشور؛ حبيبة ومبدعة ومناضلة.

ذهَب إلى الشعر في محاولة لترميم الخسارات الشخصية الثقيلة

نزع في قصيدته نحو دراما تركّز على صراع الإنسان وحركته

مريضٌ/ كرسيّ المحقّق المرعب مصنوعٌ من السوس/ الكرسيّ المتحرّك والشخص المشلول لا نعرف من منهما يحرّك الآخر/ كرسيّ القاضي في بعض البلدان تصنعه شركاتُ الهاتف/ كرسيّ العمدة، الهدية الوحيدة التي يوسع الفقير، ذي البندقية الطويلة، والذكاء المحدود، أن يقدّمها لسيده/ أفخم كرسيّ في الدار الغارقة، فلان لديهم موظفين يقومون بالأعمال الكتابية. أما كيف تسير أمور الدولة، فقطعاً ليس بالإلهام، خاصة أنهم ليسوا بالأشخاص الملهمين.

إذًا من الذي يقرأ الكتب؟

شخص واحد، يوفر متاعب القراءة على الآخرين، فهو الذي يصنع السياسة والثقافة والاقتصاد والفن، إنه الانقلابي الذي أصبح دكتاتوراً معترفاً به دولياً، لا يحيج هذا الطاقم إلى العودة إلى الكتب، وهو بالذات لا يقرأها، يطلع فقط على تقارير رؤساء الأجهزة الأمنية. وما يقوم به الموالون له، أنهم يسيرون على هدى خطاباته وإرشاداته وتعليماته وتنظيراته وأقواله... ينهلون منها مقالاتهم وتحليلاتهم وتمثيلياتهم وأدبهم وأشعارهم وأفلامهم وأغانيهم وموسيقاهم وأكاذيبهم.

ليست مهزلة، إنها حقيقة.

(روائي من سورية)

كلّ ما نفعله موقّت

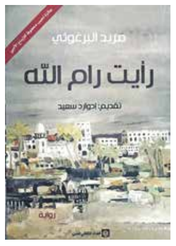

أرّخ الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي لسيرته بكتابين سردِيّين هما «رأيت رام الله» (1997)، و«وُلدت هناك، وُلدت هنا» (2009)، وفيهما يلتقط جملة مفارقات صاغت مسار حياته منذ غادر وطنه حتى عودته غير المكتملة إليه، مستعرضاً الخسارات والهزائم المتلاحقة التي تعرّض إليها الإنسان الفلسطيني بأسلوب يعزّي الحصار والاحتلال والعبث السياسي أيضاً، ويلخّصها بقوله «منذ الـ 67 كلّ ما نفعله موقّت».

إطلالة

ليست الكتب بالبراءة التي نظنّها
القارئ الأوحد

الدول الشمولية ليست بحاجة إلى كتب تتحدّث عن العقل والحرية، فالعقل مثل الحرية كلاهما لا لزوم له، والدولة مكتفية بما لديها من كتب وكتّاب

فوّاز حداد

لم يعد حريق الكتب استثناء، ولا يعبّر عنه بإضرام النار فقط، بل بمصادرتها ومنعها وإتلافها أيضاً، وقد يُحرق مؤلفوها معها، أو يُعدمون، أو يُسجنون ويطاردون، لا ينجو منهم سوى الذين يغادرون بلدانهم، ولا يستبعد ملاحقتهم إلى بلدان المهاجر، فيغتالوا بضربة فأس، أو مسدس كاتم للصوت، أو بالسم، فالعالم يتقدّم.

في القرن الماضي، كان للنازية مأثرتها الكبرى في تنظيم أكبر عملية إعدام للكتب طاولت آلاف العناوين، استمرت ثمانية أشهر من عام 1933. غادر معظم كتّاب ألمانيا ومثقفيها وفنانيها البلاد ونجوا بأرواحهم، كانت أكبر هجرة شهدتها أوروبا، تفوّقت عليها في هذا القرن، بما لا يقاس هجرة السوريين التي بلغت نحو سبعة ملايين.

لم تقتصر مجزرة الحريق على الكتّاب الألمان، فهي لم توفر أبرز كتاب أوروبا وأميركا، وكل من انتقد الأيديولوجية النازية. اتهم مؤلفوها بأنهم بلاشفة أو أصولهم يهودية، فالكتب ليست بهذه البراءة التي نظنها، وإلا لم تُستهدف بالنار.

من جانب عملي، الدول الشمولية ليست بحاجة إلى كتب تتحدّث عن العقل والحرية، فالعقل مثل الحرية كلاهما لا لزوم له، ولا إلى كتاب يكتبون ما شاء لهم، فالكتابة ليست فوضى، والدولة مكتفية بما لديها من كتب وكتّاب ومثقفين وفنانين.

هذه الإجراءات لم تعد ابنة وقتها، باتت سارية، فعسكر الانقلابات لا يخفون استهتارهم بالكتب، فقد نشأوا على كراهيتها، ولا مزاج لهم لقراءة والكتابة. انتسبوا إلى الجيش كي يتخلصوا من رهاب الامتحانات، ما أورث لديهم عداوة للكتب، إنها أشبه بعقدة نفسية، لا تخفي اشمئزازها من الورق والحبر.

ولا شك في أن لهذه العقدة جانبًا واقعيًا، فالكتب لا تساعد على الاستيلاء على السلطة، والأصح أنها تضع العراقيل، من ناحية أنها تدعو إلى التفكير، ماذا يعني التفكير، ما دام المعوّل في التقدم على الدبابات والطائرات، وخطة الانقضاض على بناء الإذاعة والتلفزيون، لا تحتاج إلى الجاحظ والتوحيدي ولا أرسطو وسقراط. الجيوش تعرف طريقها الوحيد إلى المستقبل، وإن كان الادعاء حسب البلاغ رقم واحد، الدفاع عن الوطن. وحسب الواقع، تشييد دكتاتورية وطنية، محلية صرف، مع الوقت تصبح وراثية.

أما السياسيون والمثقفون والفنانون المتحقون بالانقلاب، صانعو الخطابات والشعارات والاحتفالات والمهرجانات الوطنية والفنية، تلك التي تشكل ثقافة العامة، فهي تعمل على تزويدهم بالأفكار مع المتعة والتسلية. بينما رجال الأعمال صانعو الاقتصاد، الحريصون على الوقت، إذا قراوا فلا أكثر من بيانات الاستيراد والتصدير، وحركة البيع والشراء، وعقود الصفقات، وأرقام البورصة، وصعود العملات الأجنبية وهبوط العملة المحلية، وتدقيق الميزانية السنوية. لا يذهب بنا الظن، أن كبار رجال الدولة ليسوا مضطرين للقراءة. بالعكس، فمثلاً في فروع أجهزة الأمن، لا يمارسون التعذيب فقط، إنهم يقرأون أيضًا، تقارير الوشاة والمتنصتين والمتجسسين، والاعترافات تحت التعذيب، أحيانًا لا يقرأونها، لأنها من بنات أفكارهم، مجرد أن المعتقلين يوقعون عليها.

اللافت في هذا الاستعراض، ويا للعجب أن كل هذا النشاط ، وهذا الطاقم من المسؤولين لا يعرفون الكتب، إذ لماذا الثقافة؟ وإذا كانوا لا يكتبون،

لا تحتاج الانقلابات إلى الجاحظ والتوحيدي او ارسطو وسقراط

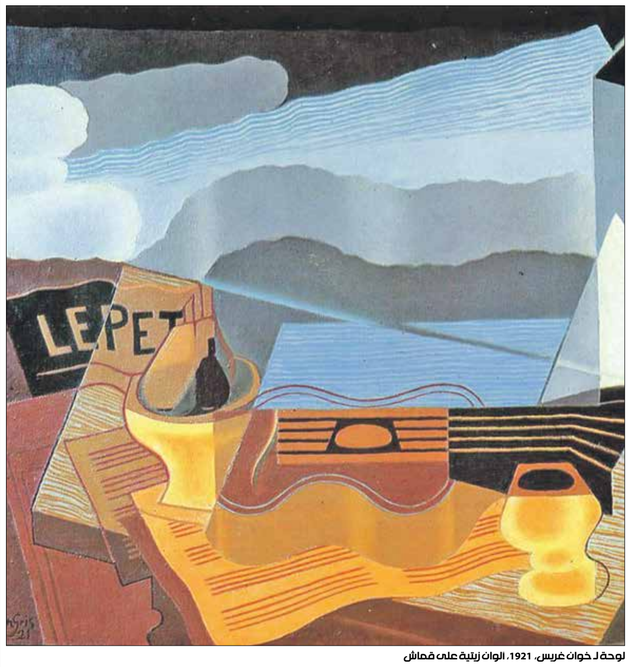

لوحة لـ خوان غريس، 1921، ألوان زيتية على قماش

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

معرض

الشرق القديم لا يزال معروضاً في الغرب
إعادة تخيّل بابل

في المعرض الافتراضي الذي ينظّمه حالياً «متحف بيرغامون» البرليني تعرض كنوز الشرق دون إشارة إلى المطالبات بإعادتها إلى بلدانها الأصلية

برلين ـ العربي الجديد

في السنوات الأخيرة، ومع تصاعد الحملات المطالبة بإعادة ما نهبته دول أوروبية من مستعمراتها السابقة، استرجعت بعض البلدان جزءاً ضئيلاً جداً من تراثها المنهوب، ولا تزال مطالبات دول أخرى بعضها عربية قائماً حتى الآن، كما فُتح الجدل حول الدور التي مارسته المتاحف الغربية في تكريس تفوّق الرجل الأبيض وتبرير استعماره عند عرضها لآثار التي جرت سرقتها طوال قرون.

«الشرق القديم» عنوان المعرض الذي ينظّمه افتراضياً «متحف بيرغامون» في برلين، على مساحة تبلغ نحو ألفي متر مربع، وتغطّي ستّة آلاف عام من التاريخ والثقافة والفنون في بلاد النهرين وسورية الطبيعية والأناضول. يوضّح بيان المنظّمين أن المتحف الألماني يعتبر إلى جانب «متحف اللوفر» و«المتحف البريطاني»، من أبرز المتاحف التي تحوي الكنوز القديمة الآتية من الشرق، من دون أدنى إشارة إلى أنشطة «الجمعية الآثارية الألمانية» منذ نهاية القرن التاسع عشر في سرقة أوابد عراقية قد تكون أهمها بوابة عشتار التي بناها نبوخذ نصر عام 575 ق. م، ولا يزال يحتفظ فيها «بيرغامون» حتى اليوم.

تتوزّع التحف والأعمال الفنية المعروضة على أربع عشرة قاعة، وتشمل العديد من النماذج المعمارية المهمّة والنقوش والقطع والأدوات الصغيرة التي صنّعتها الحضارات السومرية والأكادية والبابلية والآشورية.

يُتيح المعرض لزوّار منصّته الافتراضية التجوّل والتأمّل في عمليات إعادة البناء لآثار البابلية مثل طريق الموكب، والذي صمّمه العراقيون القدامى بعرض ثلاث وستين قدماً مغطّاة بالواح من حجر الكلس الأبيض، ويحدّه من جانبيه جداران سميكان ويُثبّت على كلّ جانب منهما ستون أسداً

لا يزال المتحف الالماني يحتفظ ببوابة عشتار التي بناها نبوخذ نصر

ترمز إلى إلهة الحب والحرب عشتار، وتفضي إلى البوابة التي تحمل اسمها، وتليها واجهة قاعة عرش الملك نبوخذ نصر الثاني (604-562 قبل الميلاد)، وهي مبنية من طابوق مزجج بمساحة اثنين وسبعين متراً مربعاً.

وتم تجميع القطع العديدة المكسورة من الطابوق المحفور بدقّة على طول الجدران، حيث ترمز صور الأسود والثيران والتنين إلى الآلهة الرئيسية في مدينة بابل، التي كانت تعدّ واحدة من عجائب الدنيا السبع قبل أن تنهار منها معالم عديدة، ليعاد بناؤها من جديد بعد قرون لكن خارج العراق هذه المرّة.

في القاعة البابلية، يُعرض أيضاً نموذجٌ من برج بابل الذي تم تكريسه لمردوخ، كبير الهة البابليين الذي انتصر على الفوضى الأولى بحسب معتقداتهم، إلى جانب نسخة من اللوحة الشهيرة المنقوشة على مسلّة أسطوانية والتي تحتوي شرائع الملك حمورابي (1792 – 1750 ق. م) وفيها نصوص مئتين واثنين وثمانين قانوناً، وتوجد النسخة الأصلية منها في «متحف اللوفر».

كما يُعرض وعاء فخّاري سومري رُسمت عليه أسماك وطيور عثر عليه عالم الآثار الألماني إرنست هيرتسفيلد خلال حفرياته في سامراء عام 1911، وإلى جواره مجموعات من ألواح طينية نُقش عليها كتابات مسمارية ونقوش مقدّسة تمثّل الآلهة القديمة تعود إلى منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد، وكذلك تمثال من المرمر لرجل يصلّي في معبد عشتار في مدينة أشور.

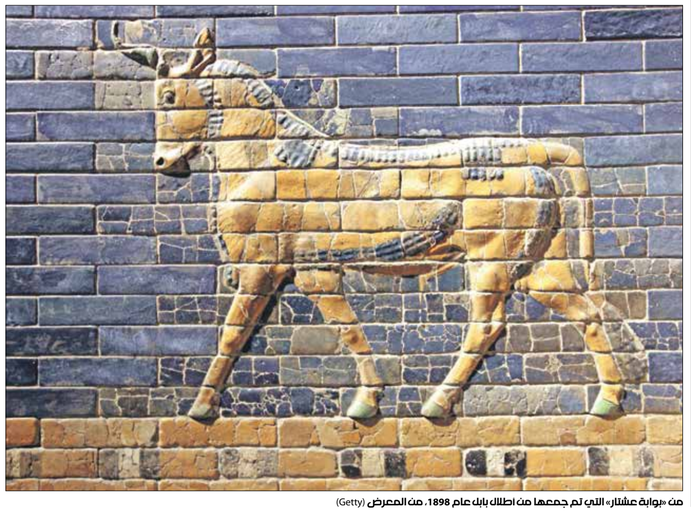

من «بوابة عشتار» التي تم جمعها من اطلال بابل عام 1898، ضمن المعرض (Getty)

فعاليات

يلقي الباحث المصري **حسين سليمان** عند العاشرة من صباح غدٍ الاربعاء في «مكتبة الإسكندرية» محاضرة افتراضية بعنوان **المنهج العلمي في الحضارة الإسلامية**. تتناول المحاضرة تأثر الحضارة اليونانية بالحضارات المصرية والآشورية والكلدانية، ثم انتقال مناهجها التجريبية إلى الحضارة الإسلامية.

حتى 11 حزيران/ يونيو المقبل، يتواصل معرض استعادي لأعمال الفنان المغربي **فريد بلكاهية** الراحل في «مركز بومبيدو» بباريس. يضمّ المعرض أعمالاً للفنان المغربي (1934 - 2014) تضيء بداياته في الخمسينيات، مروراً برسوماته بالزيت وأعمال النحاس، وصولاً إلى استخدامه طرقاً ومواد تقليدية خاصة صباغة الجلد الطبيعي، وتعدّ تجربته محاولة تأسيس لحداثة فنية في بلاده.

اللغات والترجمة في الخطابات المعاصرة عنوان الملتقى الافتراضي الذي ينطلق صباح السبت المقبل في «جامعة الجزائر 2» ويتواصل ليومين. يناقش المشاركون عدّة محاور منها «التعدّد اللغوي وعلم الترجمة»، و«ترجمة النصوص المتخصّصة وخاصيتها»، و«الترجمة وحوسبة اللغة»، و«الترجمة في البحوث العلمية والأكاديمية».

يتواصل معرض **الفن والخط الصيني عن قرب** الذي افتتح نهاية العام الماضي في «متحف الميتروبوليتان» للفنون في نيويورك حتى السابع والعشرين من حزيران/ يونيو المقبل. يستعرض المعرض تاريخ الفن في الصين ما قبل الحداثة، حيث استطاع الرسامون الأوائل معرفة تقنيات عديدة مثل درجة لون الحبر والتشبّع والخطوط.